مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الرابع والعشرون - المجلد الثالث - علوم القرآن - تشرين أول 2024م
doi.org/10.52866/esj.2023.03.24.17

اثر السجاوندي في الوقف كتب التفسير (انموذجا)

أ.د. حسين حاتم حسين
الجامعة العراقية / كلية التربية - قسم القرآن وعلومه والتربية الاسلامية

مستخلص:

إن خير ما يشتغل به المرء خدمة كتاب الله تعالى، وهو الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، فكلما تدبره المتدبر، ونظر في معانيه المتأمِّل، واستحضار الوسائل والسبل التي ترسخ عظمته في نفوسهم.

لذلك تنوعت جهود العلماء في البحث عن معرفة معانيه وأحكامه وعلومه وأساليبه وإعجازه وبلاغته وسائر فنونه، وهذا مما يُعِين على تدبر القرآن الكريم، وخدمة علومه وتراكيبه، أو غيرها.

ومن أهم ما اعتنى به المفسرون، وظهرت فيها جهودهم لفهم كلمات القرآن، وبيان معانيه، وإيضاح أساليبه، واستنباط أحكامه علم الوقف والابتداء فهو علم مهم ، وبه يُعرَف الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتباينين، والحكمين المتغايرين، فبذلك يتحقق فهم كلام الله تعالى

فارتفي هذا البحث الى إبراز القيمة العلمية لوقوف القرآن الكريم ، ثم إبرازُ شيء من جهود علماء الوقف في القرآن الكريم ، وبيان أثر ذلك في فهم المعنى المراد مِن النص القرآني. فهذا الموضوع يتناول جانباً مهماً من جوانب علوم القرآن، لأنه يوضح شيئاً من دلالات الوقف في القرآن الكريم ، والمنثورة في كتب الوقف والابتداء؛ فيتناولها بالبحث والاستقراء والبيان.

ففي هذا البحث إبراز أثر وقوف السجاوندي على تفسير النصوص القرآنية المختلفة التي تظهر فيها بصمة السجاوندي ، و تحليل كيفية استفادة المفسرين من وقوف السجاوندي.

Abstract :

The best thing for a person to be busy with is serving the Book of Allah Almighty, which is the one whose wonders never end, and does not become outdated with frequent repetition. The more the contemplator ponders it, the more the contemplative considers its meanings, and the more the meditator considers its meanings, and the more he recalls the means and methods that will establish its greatness in their souls.

Therefore, the efforts of scholars have varied in searching for knowledge of its meanings, rulings, sciences, methods, miracles, eloquence, and all its arts. This is what helps in contemplating the Holy Quran, and serving its sciences and structures, or others.

One of the most important things that the interpreters cared about, and in which their efforts appeared to understand the words of the Qur'an, explain its meanings, clarify its methods, and deduce its rulings, is the science of stopping and starting. It is an important science, and through it the difference between the two different meanings, the two contrasting opposites, and the two different rulings is known. Thus, understanding the words of Allah Almighty is achieved. This research has risen to highlight the scientific value of stopping in the Holy Qur'an, then highlighting some of the efforts of the scholars of stopping in the Holy Qur'an, and clarifying the effect of that in understanding the intended meaning of the Qur'anic text. This topic deals with an important aspect of the sciences of the Qur'an, because it clarifies some of the implications of stopping in the Holy Qur'an, which are scattered in the books of stopping and starting; it deals with them through research, induction, and clarification. In this research, the effect of Sajawandi's stopping is highlighted on the interpretation of the various Qur'anic texts in which Sajawandi's imprint appears, and an analysis of how the interpreters benefited from Sajawandi's stopping.

المقدمة

الحمد لله الذي منَّ علينا بعلمٍ نسأله تعالى أن يجعله علماً نافعاً نزداد به إيماناً وحباً لهذا القرآن الذي أنزله رب العزة سبحانه ليكون لنا نوراً وهدى وشفاء ورحمة للمؤمنين، كتاب أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت الألبّاء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فلم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، الصادق الوعد الأمين، وعلى آل بيته الطاهرين، وأصحابه الغر الحجلين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أما بعد فإن خير ما يشتغل به المرء خدمة كتاب الله تعالى، وهو الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، فكلما تدبره المتدبر، ونظر في معانيه المتأمِّل، ومن هنا كان لا بد من تذكير الناس بكتاب ربهم المنقذ لهم من الضلال والضياع، واستحضار الوسائل والسبل التي ترسخ عظمته في نفوسهم.

لذلك تنوعت جهود العلماء في البحث عن معرفة معانيه وأحكامه وعلومه وأساليبه وإعجازه وبلاغته وسائر فنونه، وهذا مما يُعِين على تدبر القرآن الكريم، وخدمة علومه، واستقراء أساليبه، سواء في ألفاظه أو معانيه، أو جُمَلِه أو تراكيبه، أو غيرها. ولا يخفى أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فكانت لغتُه موضعَ اهتمام العلماء على اختلاف تخصصاتهم، وبيانُ معانيه محورَ كثير من الدراسات القرآنية، والأبحاث العلمية المتطلِّعة إلى كشف إعجازه، والوقوف على أسراره.

ومن أهم ما اعتنى به المفسرون، وظهرت فيها جهودهم لفهم كلمات القرآن، وبيان معانيه، وإيضاح أساليبه، واستنباط أحكامه علم الوقف والابتداء فهو علم مهم، وفن جليل، وهو حلية التلاوة، وزينة القارئ، وبلاغ التالي، وفهم المستمع، وفخر العالِم، وبه يُعرَف الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتباينين، والحكمين المتغايرين، فبذلك يتحقق فهم كلام الله تعالى؛ حيث إنه لا يُدرَك معناه إلا بذلك، فمن لم يهتم به فقد يقف قبل تمام المعنى، فحينئذ لا يفهم هو ما يقرأ، بل ربما يَفهَم خلاف المراد من كلام الله تعالى إذا وقف على غير موطن وقف، وهذا فساد عظيم، وخطر جسيم، لا تصح به القراءة، ولا توصف به التلاوة [1].

ولما كان من عوارض الإنسان التنفس، فإن القارئ يضطر إلى الوقف، لأنه لا يمكنه أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد، وحيث إن الكلام بحسب المعنى له أحوال اتصال يقبح معها الوقف، وأحوال انفصال يحسن معها القطع، حتى لا يختل المعنى، ولا يصعب الفهم، فاحتيج إلى قانون يُعرَف به ما ينبغي من فصل ووصل في قراءة القرآن الكريم، فكان علم الوقف والابتداء [2].

فبمعرفة هذا العلم يحصل للمسلم تمام المعرفة بالقرآن، فيتمكن من إدراك معانيه، واستنباط أحكامه، ومعرفة إعرابه، وفهم غريبه [3].

واردنا في الصفحات القادمة ان نشارك مع من تكلم في الوقف والابتداء وارتياد آفاقه ولهفتي وشوقي في معرفة الكثير عن إعجاز القرآن، ورغبة مني بتثبيت الإيمان في قلبي وقلب كل مؤمن، وكي

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن 1/ 342، ولطائف الإشارات 1/ 249، وتنبيه الغافلين (120)، وهداية القارئ (367).

(2) انظر: النشر 1/ 326، ولطائف الإشارات 1/ 247.

(3) انظر: الإيضاح 1/ 108، والإتقان في علوم القرآن 1/ 83.

يكون حجة داحضة في وجه كل جاحد. فكان عنوان بحثي (**اثر السجاوندي في الوقف كتب التفسير (انموذجاً)**.

- أهمية البحث:

1. إبراز القيمة العلمية لوقوف القرآن الكريم، باستقراء نماذج منها، ودراستها دراسة تطبيقية؛ يظهر فيها إعجاز القرآن الكريم.

2. إبرازُ شيء من جهود علماء الوقف في القرآن الكريم، وبيان أثر ذلك في فهم المعنى المراد مِن النص القرآني.

3. هذا الموضوع يتناول جانباً مهماً من جوانب علوم القرآن، لأنه يوضح شيئاً من دلالات الوقف في القرآن الكريم، والمنثورة في كتب الوقف والابتداء؛ فيتناولها بالبحث والاستقراء والبيان.

4. البحث في هذا الموضوع يفتح آفاقاً كثيرة للفهم والتدبر والتفكر، ويعين على معرفة ما في القرآن الكريم من معان وأسرار.

أهداف البحث:

1- إبراز أثر وقوف السجاوندي على تفسير النصوص القرآنية.

2- تحليل كيفية استفادة المفسرين من وقوف السجاوندي.

3- توضيح دور الوقف في إثراء تفسير المعاني وتوجيه الفهم الصحيح للآيات.

4- دراسة أمثلة تطبيقية من كتب التفسير المختلفة تظهر فيها بصمة السجاوندي.

إشكالية البحث:

1) كيف أسهمت وقوفات السجاوندي في التأثير على تفسير الآيات؟

2) ما مدى تأثير وقوف السجاوندي على فهم المفسرين لنصوص القرآن الكريم؟

3) هل توافق المفسرون مع منهج السجاوندي أم خالفوه في بعض المواطن؟

منهج البحث:

- المنهج التحليلي: تحليل وقوف السجاوندي وأثرها في التفسير.
- المنهج المقارن: مقارنة أثر وقوف السجاوندي في كتب التفسير بآراء علماء آخرين .

خطة البحث

قسمت بحثي إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة فالمقدمة كانت عن: أهمية البحث،

أما المبحث الأول: فتناولت فيه: الوقف والابتداء - المفهوم والأهمية في تفسير القرآن الكريم

أولاً: تعريف بالسجاوندي، وحياته، وعلمه، وعقيدته ومذهبه، ووفاته.

ثانياً: تعريف الوقف وأنواعه وأهميته في التفسير.

ثالثاً: آراء العلماء في أنواع الوقف في القرآن الكريم.

رابعاً: أثر علم الوقف والابتداء في توجيه وفهم معاني القرآن الكريم.

خامساً: اهتمام العلماء في هذا الفن.

وأما المبحث الثاني: فتناولت فيه: اثر السجاوندي لوقوف القرآن الكريم - في كتب ا لتفسير .

والخاتمة: بينت فيها: أهم النتائج التي توصلت اليها. سائلاً الله ان يتقبله ويجعله خالصا لوجه الكريم .

المبحث الأول: فتناولت فيه: الوقف والابتداء - المفهوم والأهمية في تفسير القرآن

أولاً: الشيخ السجاوندي وحياته وعلمه، وعقيدته ومذهبه، ووفاته:

1 – اسمه:

أبو عبد الله، محمد عبد الرشيد[1] بن طيفور بن إسماعيل[2]، الغزنوي السجاوندي – بكسر السين المهملة، وفتح الواو إمام كبير، محقق، مقرئ، مفسر، فقيه، فرضي، حاسب، عالم بالقراءات نحوي لغوي [3].

2 – حياته:

لم يتطرق اصحاب التراجم عن ولادته، ولا نشأته. ولقبه الغزنوي نسبة إلى غزنة وهي مدينة كبيرة، في طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والهند[4]، وتقع الآن في شرق أفغانستان، جنوب العاصمة كابول، وهي من أهم المدن فيها[5].

عاش السجاوندي في نهاية القرن الخامس ومنتصف القرن السادس خلال العصر العباسي، وهذه الفترة كانت الخلافة الإسلامية في بغداد ضعيفة الجانب، وكان العالم الإسلامي مقسماً إلى ممالك ودويلات، كالدولة الفاطمية في المغرب ومصر، والدولة الغزنوية في خراسان، ودولة السلاجقة في خراسان والعراق، فكان هذا الانقسام مشجعاً على ظهور الفتن الداخلية والاضطرابات الطائفية حيث كان لها أثر كبير في ضعف هذه الأمة، وضعف كيانها [6].

ومع هذا الانقسام في المجتمع الإسلامي الا انه كانت نهضة علمية جيدة، وخاصة في خراسان، حيث وجد من السلاطين والوزراء من شجع العلم والعلماء، مثل الوزير السلجوقي نظام الملك (ت 485هـ) [7]، وإلى جانب هذه النهضة العلمية الرائعة فقد كان في عصر المؤلف ما يشجع على مسيرة هذه النهضة، والإفادة من كنوز معارفها، من العلماء الجهابذة، كإمام الحرمين أبي المعالي الجويني النيسابوري الشافعي (ت 478هـ) [8]،

والامام مكي بن أبي طالب القيسي الأندلسي، إمام الأندلس وعالمها، وشيخ القراء فيها (ت 437هـ) ممن سبق عصر المؤلف بقليل، وكان له اهتمام في علم الوقف [9]، وكذلك الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت 444هـ) [10].

3 – شيوخه وتلاميذه ورحلاته العلمية :

لم تبين كتب التراجم رحلاته، ولا شيوخه، ولا تلاميذه، لكنه ترك آثاراً علمية قيمة لا غنى للمكتبة الإسلامية عنها، فمنها:

1. عين المعاني في تفسير الكتاب العزيز والسبع

(1) ينظر غاية النهاية:157/ 2، والوافي بالوفيات:178/ 2

(2) ينظر مجاز القرآن المقدمة / 38.

(3) ينظر : إنباه الرواة 153/ 3، وغاية النهاية 157/ 2، وطبقات المفسرين للسيوطي 101، وطبقات المفسرين للداودي 155/ 2، والوافي بالوفيات 178/ 3، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة 128/ 1، وكشف الظنون 1182/ 2، والأعلام 179/ 6.

(4) ينظر: معجم البلدان 201/ 4.

(5) ينظر: أطلس العالم الإسلامي 53.

(6) ينظر: طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي : 86، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية 418، 430، 434، 451، وتاريخ الإسلام 37/ 3 – 63، 96 – 100، 1/ 4 – 58، 163.

(7) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى 165/ 5، وسير أعلام النبلاء 95/ 19، وشذرات الذهب 358/ 3.

(8) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى 165/ 5، وشذرات الذهب 358/ 3.

(9) ينظر: غاية النهاية 2/ 309.

(10) ينظر: المرجع السابق 1/ 503.

المثاني: فقد أثنى عليه القفطي[1]،والصفدي، وابن الجزري، وابن قاضي شهبة، والسيوطي، والداودي، حيث قالوا: له تفسير حسن للقرآن[2]. وقد حُقِّق أكثره في كلية أصول الدين في جامعة الإمام بالسعودية .

2. علل الوقوف: ويسمى: الوقف والابتداء الكبير[3]. محقق

3. السراجية في الفرائض [4] .

4- عقيدته ومذهبه:

من خلال آثاره يتبين انه ينهج نهج السلف الصالح في آيات الصفات؛ إلا أنه يؤول في بعضها. أما مذهبه فإنه ينهج في الفقه مذهب الإمام أبي حنيفة[5].

5- وفاته:

بعد هذه الجهد العلمي الذي بذله السجاوندي جاءت رحلته من هذه الحياة الدنيا حيث توفي سنة ستين وخمسمائة[6].

ثانياً: تعريف الوقف وأنواعه وأهميته في التفسير.

تعريف الوقف لغة واصطلاحا :

الوقف لغة: الكف عن الفعل والقول[7].

واصطلاحاً: قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة، بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله[8].

الوقف عند أهل القراءة والاداء نوعان:

الاول: معرفة ما يوقف عليه وما يبتدئ به. (وهو ما يتعلق بالمعنى).

الثاني : كيف يوقف وكيف يبتدأ (وهو ما يتعلق بالأداء)[9].

ثالثاً: آراء العلماء في أنواع الوقف في القرآن الكريم:

للعلماء آراء كثيرة في أنواع الوقف، فهي غير منحصرة؛ لاختلاف القراء والمفسرين فيها ؛ حيث إن الوقف يكون تاماً على تفسير، أو إعراب، أو قراءة، أو معنى، وغير تام على وجه آخر، فكل يحدد موطن الوقف، مع بيان نوعه حسب فهمه لمعنى الآية. فمن هنا نشأ اختلافهم في اصطلاح مراتب الوقف في القرآن الكريم، حرصاً على تفهيم كلام الله تعالى، وأداء تلاوته على أتم وجه[10].

فمن هؤلاء العلماء :

1. ابن الأنباري: ذكر في الإيضاح أن الوقف على ثلاثة أوجه: تام، وحسن، وقبيح[11].

2. الداني: ذكر في المكتفى أن الوقف على أربعة أقسام: تام مختار، وكاف جائز، وقبيح متروك[12].

3. السجاوندي: ذكر في علل الوقوف أن الوقف على خمس مراتب: لازم، ومطلق، وجائز، ومجوز لوجه، ومرخص ضرورة[13].

4. ابن الجزري: قال في النشر: «وأقرب ما قلته

(1) ينظر: إنباه الرواة 153/ 3.
(2) ينظر: الوافي بالوفيات 178/ 3، وغاية النهاية 157/ 2، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة 128/ 1، وطبقات المفسرين للسيوطي 101، وطبقات المفسرين للداودي 155/ 2.
(3) ينظر: غاية النهاية 157/ 2.
(4) ينظر غاية النهاية:157/ 2، والوافي بالوفيات:178/ 2
(5) ينظر: عين المعاني 7/ 1 ، 103 – 118.
(6) ينظر: إنباه الرواة 153/ 3، والوافي بالوفيات 178/ 3.
(7) ينظر: منار الهدى 8.
(8) ينظر: النشر 334/ 1.
(9) ينظر منار الهدى : 37
(10) ينظر: النشر 317/ 1 – 321، ومنار الهدى 8، 9.
(11) ينظر: الإيضاح 149/ 1.
(12) ينظر: المكتفى 138، 139، والبرهان في علوم القران : 350/ 1.
(13) ينظر: علل الوقوف 1/ –108 131.

في ضبطه أن الوقف ينقسم إلى:

اختياري، واضطراري؛ لأن الكلام إما أن يتم، أو لا، فإن تم كان اختيارياً»[1]، ثم قال: «وإن لم يتم الكلام كان الوقف عليه اضطرارياً، وهو المصطلح عليه: بالقبيح؛ لا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نَفَس ونحوه؛ لعدم الفائدة، أو لفساد المعنى»[2].

5. الأنصاري: قال في المقصِد: «ثم الوقف على مراتب: أعلاها التام، ثم الحسن، ثم الكافي، ثم الصالح، ثم المفهوم، ثم الجائز، ثم البيان، ثم القبيح، فأقسامه ثمانية»[3].

رابعاً: أثر علم الوقف والابتداء في توجيه وفهم معاني القرآن الكريم:

لعلم الوقف والابتداء اهمية كبيرة في معرفة معاني القرآن الكريم ومن خلال معرفة مواطن الوقف والابتداء بما يتفق مع وجوه التفسير، والقراءة، وصحة اللغة، واستقامة المعنى، فحينئذ يتحقق لطالب العلم فهم كتاب الله تعالى، وبذلك تُعرَفُ مقاصدُ القرآن الكريم، ويظهر إعجازه، وتتضح معانيه، وتستعد القوة المفكرة للغوص في بحر علومه، والحصول على درر فوائده[4].

فمثلاً في قوله تعالى: (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)[5]، إذا وُقف على: (فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً) كان المعنى: أنها حرمت عليهم هذه المدة، فيكون (أربعين سنة) ظرفاً للتحريم، وإذا وقف على (فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِم)، تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ كان المعنى: أنها محرمة عليهم أبداً، وأنهم يتيهون أربعين سنة، فيكون (أَرْبَعِينَ سَنَةً) ظرف زمان للتيه، فيُرجَع في هذا إلى التفسير، ويكون الوقف بحسب ذلك[6]. وكذلك في قوله وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ .

المراد من كلام الله تعالى بسبب ذلك، وهذا فساد عظيم، وخطر جسيم لا وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ)[7]، ويكون تمام الوقف على: (قصاص) عند من نصب: (والعينَ) وما بعدها، عطفاً على: (النفسَ)، وجعل: (قصاص) خبر (أنّ)، وهي قراءة: نافع وعاصم وحمزة والأعمش، ومن قرأ: (والعينُ) بالرفع، ورفع ما بعدها، فالوقف عنده على: (أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ)، وهي قراءة الكسائي، ويكون المعنى على هذه القراءة: أن (والعينُ بالعين...) بالرفع: ابتداء حكم في المسلمين، وبجعل ما كَتَب عليهم في التوراة أن النفس بالنفس، وإيجاب الحكم في القصاص في العيون وما بعدها بين المسلمين بالآية[8].

وبهذا يتبين أن في معرفة الوقف والابتداء تفريقاً بين المعاني، فينبغي لقارئ القرآن إذا قرأه أن يتفهم ما يقرأ، ويُشغِل قلبَه به، ويتفقد القطع والائتناف، ويحرص على أن يُفهِم المستمعين ما يقرأ؛ بحيث يكون وقفه عند كلام مستغن عما بعده، أو شبيه به، وأن يكون ابتداؤه حسناً. فطالب العلم محتاج أن يعرِف أين يقطع قراءته، وكيف يأتنف؛ لأن من

(1) النشر 317/ 1.
(2) النشر: 318/ 1.
(3) المقصد 5، 6.
(4) ينظر: جمال القراء 553/ 2، والتمهيد 166، ولطائف الإشارات 249/ 1، والوقف والابتداء للغزال 22/ 1.
(5) سورة المائدة، الآية 26.
(6) ينظر: القطع 95 والائتناف: للنحاس، 96، والجامع لأحكام القرآن 130/ 6.
(7) سورة المائدة، من الآية:45.
(8) ينظر: القطع 96، والكشف عن وجوه القراءات 409/ 1، والبرهان 349/ 1.

الوقف ما هو واضح مفهوم معناه، ومنه ما هو مشكل لا يُعرَف إلا بسماع، أو علم بالتأويل، ومنه ما يعلمه أهل العلم بالعربية واللغة[1]. فكان بهذا معتمِداً على ما ارتضاه المتقنون من أهل العربية، وتأوله المحققون من الأئمة، فليس كل ما يتعسفه بعض المعربين، أو يتكلفه أحد المقرئين، أو يتأوله محرف من أهل الأهواء المخطئين يُعتَمد عليه؛ كأن يوقف على نحو قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ)[2]، ثم يبتدئ: (بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) على معنى القسم، وكالوقف على: (وَارْحَمْنَا أَنْتَ)[3]، ثم يبتدئ: (مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا) على معنى النداء. فكل هذا وما أشبهه تمحل، وإخراج للتنزيل عن المعنى المراد به، فهو تحريف يبطله إجماع المصاحف على أنه كلمة واحدة، فعلى طالب العلم أن يحذر من هذا التحريف، وأن يراعي ما نص عليه أئمة هذا الشأن؛ مهتماً بتفهم معاني التنزيل، فهو خير له من اتباع الأهواء[4]. أما من لم يهتم بذلك فقد يصل بين المعنيين المختلفين، وقد يقف قبل تمام المعنى، وإن اضطر لذلك فقد لا يصل إلى ما وقف عليه بما بعده حتى ينتهي إلى ما يصح أن يقف عنده، وهذا دليل على أنه لا يَفهم هو ما يقرأ، وقد يَفهم هو، أو يَفهم غَيرُه خلاف تصح به القراءة، ولا توصف به التلاوة[5]. فمثلاً في قوله تعالى : (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)[6]، من قرأ: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى) ثم وقف، فقد وصل بين معنيين مختلفين، حيث أشرك بين المستمعين من المؤمنين، وبين الموتى في الاستجابة، وليس معنى الآية هكذا، بل المعنى: أن الموتى لا يستجيبون لدعوة الرسل، وإنما أخبر الله تعالى عنهم مستأنِفاً أنهم يبعثون للحساب[7]. وأقبح من هذا ما يحصل به فساد المعنى المراد من الآية، وسوء الأدب مع الله تعالى، مثل الوقف على قوله تعالى: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا)[8]، والابتداء بالمعمول دون عامله: (إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)، ولا يخفى ما في هذا وما أشبهه من فساد للمعنى المراد من القرآن الكريم، فلا يجوز تعمد الوقف عليه، كما لا يصح التفوه به[9].

خامساً: اهتمام العلماء بالوقف والابتداء:

كان للعلماء اهتماما كبيرا بهذا الفن ، فحضُّوا على تعلمه ومعرفته معرفة تامة، معتمدين بذلك على ما ورد من سنة النبي ﷺ، وآثار الصحابة والتابعين، ثم من بعدهم من الأئمة، فقد جاء بالسنة الوقف على رؤوس الآيات، (فقد كان النبي ﷺ يُقَطِّعُ قراءته آية آية)[10]. فهذا دليل على أن النبي ﷺ كان يقرئ أصحابه ﷺ على مثل هذا، ويعلمه لهم[11]. وقد كان النبي ﷺ يعلم أصحابه ﷺ

(1) ينظر: القطع 97 والاتئناف: للنحاس ، 98.
(2) سورة لقمان، من الآية 13.
(3) سورة البقرة، من الآية 286.
(4) ينظر: النشر 323/ 1، 324، ولطائف الإشارات 263/ 1، 264.
(5) ينظر: تنبيه الغافلين:120، وهداية القارئ 367.
(6) سورة الأنعام، الآية 36.
(7) ينظر: القطع والاتئناف: للنحاس: 97، والجامع لأحكام القرآن 418/ 6، والنشر 321/ 1، 322.
(8) سورة آل عمران، من الآية 181.
(9) ينظر: النشر 322/ 1، هداية القارئ: 388، والتبيان في آداب حملة القرآن 92.
(10) ينظر: سنن أبي داود 294/ 4، كتاب الحروف والقراءات، الحديث (4001)، وسنن الترمذي 182/ 5، 185، كتاب فضائل القرآن، الحديث (2923)، وكتاب القراءات، الحديث (2927)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته 2/ 893.
(11) ينظر: غاية المريد 212، 213.

وقف التمام، بدليل ما أخرجه الطبري بسنده عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة" [1]. قال النحاس: (فهذا تعليم التمام توقيفاً من رسول الله ﷺ بأنه ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب، ويفصل مما بعدها إن كان بعدها ذكر النار أو العقاب، نحو: (يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ)[2]، لا ينبغي أن يقول: (وَالظَّالِمُون)؛ لأنه منقطع مما قبله، منصوب بإضمار فعل، أي: ويعذب الظالمين، أو: وأوعد الظالمين)[3].

وقد بلغ من اهتمام العلماء بهذا الفن أن وضعوا له ضوابط لا يتم لطالب العلم القيام بهذا الفن إلا بمعرفتها، ومن هذه الضوابط ما ذكره النحاس بقوله: «حكى لي بعض أصحابنا عن أبي بكر بن مجاهد ﷺ أنه كان يقول: لا يقوم بالتمام إلا نحوي، عالم بالقراءة، عالم بالتفسير، عالم بالقصص، وتلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن. وقال غيره: يحتاج صاحب علم التمام إلى المعرفة بأشياء من اختلاف الفقهاء في أحكام القرآن»[4].

وكان أبو عبد الرحمن السلمي؛ ممن اعتنى بهذا الفن من السلف حيث كان يستحب أن يقف على: (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)[5]، ثم يبتدئ: (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)، وذلك للفرق بين كلام الكفار، وجواب الملائكة[6]، وكذلك: نافع المدني وعاصم والكسائي: حيث إنهم كانوا يراعون محاسن الوقف والابتداء بحسب معنى الآية[7]، وكذلك الإمام أبو الفضل الرازي (ت 454هـ)[8]؛ حيث إنه أول من نبه على المراقبة في الوقف، فمثلاً في قوله تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)[9]، فإذا وقفت على: (لا ريب) لا تقف على: (فيه)، وإذا أردت الوقف على: (فيه) لا تقف على: (لا ريب)[10].

وقيل : «وصح بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح، كأبي جعفر يزيد بن القعقاع، إمام أهل المدينة، الذي هو من أعيان التابعين، وصاحبه الإمام: نافع بن أبي نعيم، وأبي عمرو بن العلاء، ويعقوب الحضرمي، وعاصم بن أبي النجود، . ومن ثم اشترط كثير من أئمة الخلف على المجيز أن لا يجيز أحداً إلا بعد معرفته الوقف والابتداء، وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف ويشيرون إلينا فيه بالأصابع، سُنَّة أخذوها كذلك عن شيوخهم الأولين – رحمة الله عليهم أجمعين – وصح عندنا عن الشعبي – وهو من أئمة التابعين علماً وفقهاً ومقتدىً – أنه قال: إذا قرأت: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)[11]، فلا تسكت حتى تقرأ: (وَيَبْقَى

(1) تفسير جامع البيان للطبري 45/ 1، 46، وابن عبد البر في «التمهيد» 288/ 8، شرح مشكل الآثار : للطحاوي (3101) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 3/ 279.
(2) سورة الإنسان، من الآية 31.
(3) القطع والائتناف : للنحاس: 89،و المكتفى في الوقف والابتداء 132، وجمال القراء 550/ 1.
(4) القطع والائتناف: للنحاس : 94.
(5) سورة يس، من الآية 52.
(6) ينظر: القطع والائتناف: للنحاس: 91.
(7) ينظر: النشر 331/ 1.
(8) ينظر: غاية النهاية 361/ 1 – 363.
(9) سورة البقرة، الآية 2.
(10) ينظر: النشر 331/ 1.
(11) سورة الرحمن، الآية 26.

وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)[1] « [2].

فمن هنا أدرك العلماء ما للوقف والابتداء من أهمية كبرى، فمنهم من أفرده بالتأليف، كالإمام نافع المدني، ويعقوب الحضرمي، وأبي بكر بن الأنباري، وأبي جعفر النحاس، وأبي عمرو الداني، والعُماني، والسجاوندي، والأشموني، ومنهم من ذكره ضمن مباحث علوم القرآن، كالإمام مكي في التبصرة، والسخاوي في جمال القراء، والنووي في التبيان، والزركشي في البرهان، وابن الجزري في النشر، والسيوطي في الإتقان[3].

المبحث الثاني:
اثر السجاوندي في كتب التفسير

أولاً: الوقف اللازم: وهو: ما يلزم الوقف عليه، ومن ذلك الوقف على قوله تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)[4]، فلو وُصِل صار الجار وما دخل عليه [5] صفة لبعض[6]، فانصرف الضمير في بيان المفضل بالتكليم إلى (بعض) لا إلى جميع الرسل، فيكون موسى عليه السلام من البعض المفضل عليه غيره، لا من البعض المفضل على غيره، وليس هذا المراد من الآية[7].

ومن ذلك قوله تعالى: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)[8] قال السجاوندي: «من قرأ تعلمون على الخطاب فوقفه لازم لئلا يصير التهديد داخلا في الأمر»[9] وكذلك في قوله تعالى (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى)[10] قال السجاوندي « الوقف اللازم على موسى لأنه لو وصل صار إذ ظرفاً لإتيان الحديث وهو محال لعله لم يلتفت إلى عمل حديث لكونه هنا اسماً بمعنى الخبر مع وجود فعل قوي في العمل قبله»[11].

الوقف الجائز

وهو: ما يجوز فيه الوصل والفصل؛ لتجاذب الموجبين من الطرفين ، كان للسجاوندي اثر في علامات الوقف الجائز ففي قوله تعالى : (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم)[12] وضع السجاوندي علامة الوقف الجائز على قوله تعالى : (رَبَّنَا) وهو في اصطلاحه ما يجوز فيه الوصل والفصل باعتبارين وتلك العلامة الجيم بمسماه وهو (ج)[13] وقوله تعالى (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)[14] «وضع السجاوندي علامة الوقف الجائز على خلق وارد لإزاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله ما أنا بقارئ يريد أن القراءة شأن من يكتب ويقرأ»[15].

---

(1) سورة الرحمن، الآية 27.
(2) النشر 316/ 1، 317.
(3) ينظر: الفهرست 38، 39، وجمال القراء 554/ 2، وهداية القارئ 369، وغاية المريد 213.
(4) سورة البقرة، من الآية 253. وهو تام عند الأنصاري والأشموني. انظر: المقصد 62.
(5) المراد به: (منهم)، في قوله تعالى: (منهم من كلم الله ...).
(6) لم يذكر العكبري هذا الوجه في إعرابه 105/ 1، حيث قال: « (منهم من كلم الله) يجوز أن يكون مستأنفاً، لا موضع له، ويجوز أن يكون بدلاً من موضع (فضلنا)». أما النحاس فلم يذكر شيئاً في إعراب: (منهم من كلم الله). انظر: إعراب القرآن للنحاس 281/ 1.
(7) انظر: علل الوقوف 1/ 109 – 112، البحر المحيط لابن حيان : 593/ 2 ، ومنار الهدى 63.
(8) سورة الزخرف لأية: 89
(9) غرائب القرآن ورغائب الفرقان 6/ 96
(10) سورة النازعات الآية: 15
(11) روح البيان إسماعيل حقي الإستانبولي : 10/ 249
(12) سورة الممتحنة الاية 5
(13) ينظر روح البيان : 9/ 387
(14) سورة العلق: 1
(15) روح البيان : 364/ 10

علامات الوقف

للوقف علامات اصطلح عليها قراء القرآن الكريم، وأصبحت ملازمة لخط المصحف فضلا عن الوقف على آخر الآية ولها أهمية كبيرة عند قراءة القرآن الكريم، وعلامات الوقف هي: حروف تضاف فوق النّص ترمز إلى مواضع الوقف عند القراءة. ومثالها: م: الوقف اللازم . لا: الوقف الممنوع ج: الوقف الجائز . وأصبحت هذه العلامات مُلازمةً لخط المُصحف زيادةً على الوقف على آخر الآيات، فيحتاج القارئ إلى علامات الوقف لتقسيم الآيات، وليختار الوقف المُناسب لإتمام المعنى[1] وقد كان للسجاوندي جهدا في وضع علامات الوقف في المصحف ومن قوله تعالى (وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ)[2] حيث وضع السجاوندي الطاء الدالة على الوقف المطلق على وضعه وقانونه في لم يحضن لانقطاعه عما بعده[3].

تعليل السجاوندي لبعض انواع الوقف

علل السجاوندي بعض المواقع التي جاء فيها وقف ومنها قوله تعالى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا)[4] «وأقول لو وقف للفرق بين الهمين لم يبعد»[5] قوله تعالى (وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)[6] حيث قال من قرأ تعلمون على الخطاب فوقفه لازم لئلا يصير التهديد داخلا في الأمر[7].

الوقف الممنوع

كان للسجاوندي رائيا في بعض المواضع والتي منع الوقوف عليها ومنها قوله تعالى: (فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ)[8] «قال السجاوندي: وعندي أن عدم الوقف أولى لأن النقب وهو البحث والتفتيش وأقع على جملة الاستفهام»[9].

الخاتمة:

وبعد هذه الجوله السريعة بين متون التفاسير للوقوف على اثر السجاوندي في كتب التفسير توصلت إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

1- اعتنى المفسرون، بعلم الوقف والابتداء وظهرت فيها جهودهم؛ لفهم كلمات القرآن، وبيان معانيه، وإيضاح أساليبه، واستنباط أحكامه.

2- يُعرَف بعلم الوقف والابتداء الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتباينين، والحكمين المتغايرين، فبذلك يتحقق فهم كلام الله تعالى.

3- يفتح البحث في هذا الموضوع آفاقاً كثيرة للفهم والتدبر والتفكر، ويعين على معرفة ما في القرآن الكريم من معان وأسرار.

4- تأثر به بعض علماء التفسير الذين أتوا بعد السجاوندي. ونهلوا من علمه في الوقف والابتداء زمنهم النيسابوري الإستنبولي وغيرهم .

وفي ختام أحمد الله تعالى وأشكره على ما يسر وأعان على إتمام هذا البحث، وأسأله تعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله علما يُنتفع به، وأن يغفر لي ولوالديّ وللمسلمين والمسلمات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان. والحمد لله رب

---

(1) ينظر محاضرات في علوم القرآن غانم قدوري التكريتي (2003)، ط1 ، عمان: دار عمار، : 88.

(2) سورة الطلاق: من الاية 4 .

(3) ينظر روح البيان 10/ 27 .

(4) سورة يوسف: من الاية 24 .

(5) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (4/ 75) .

(6) سورة الزخرف : الاية 89.

(7) ينظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان (6/ 96).

(8) سورة ق الاية 36 .

(9) غرائب القرآن ورغائب الفرقان : 6/ 173.

العالمين.

المصادر والمراجع:

*** القران الكريم**

1. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/ 1974م.
2. أطلس العالم الإسلامي: جمع وإعداد: مجموعة من المتخصصين، إشراف: د. دولت أحمد صادق، نشر: دار البيان العربي، جدة 1403 هـ.
3. إعراب القرآن: للعكبري، نشر:دار مكتبة الهلال، بيروت.
4. إعراب القرآن: للنحاس، تحقيق: د. زهير زاهد، نشر: عالم الكتب، بيروت، ط2.
5. الأعلام: للزركلي، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1979 م.
6. إنباه الرواة: للقفطي، تحقيق: محمد إبراهيم، طبع دار الكتب المصرية، 1369 هـ.
7. الإيضاح في بيان الوقف والابتداء: لابن الأنباري، تحقيق: محيي الدين رمضان، دمشق، 1390 هـ.
8. البرهان: للزركشي، تحقيق: محمد إبراهيم، نشر: دار المعرفة، بيروت.
9. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: د. حسن إبراهيم حسن.
10. التبيان في آداب حملة القرآن: للنووي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط.
11. تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبي السعود: : دار إحياء التراث العربي، بيروت.
12. تفسير جامع البيان في تأويل أي القران محمد بن جرير الطبري: تحقيق: محمود شاكر، طبع دار المعارف، مصر، ط 2.
13. روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ): دار الفكر - بيروت.
14. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1416 هـ - 1996 م الطبعة : الأولى
15. التمهيد في علم التجويد: لابن الجزري، تحقيق: د. علي البواب.
16. تنبيه الغافلين:للصفاقسي، نشر:مؤسسة الكتب الثقافية، 1407هـ، ط 1.
17. الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
18. جمال القراء: للسخاوي، تحقيق: د. علي البواب.
19. سلسلة الأحاديث الصحيحة: للألباني، نشر: مكتبة المعارف، الرياض،ط 1.
20. سنن أبي داود: إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس. 1388 هـ، ط 1.
21. سنن الترمذي: تحقيق: أحمد شاكر، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
22. سير أعلام النبلاء: للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1405 هـ.
23. شذرات الذهب: لابن العماد، نشر دار الميسرة، بيروت، 1399 هـ، ط 2.

24. صحيح الجامع الصغير وزيادته: للألباني، نشر: المكتب الإسلامي.
25. طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي، تحقيق: محمود الطناحي، وعبدالفتاح الحلو، مطبعة البابي الحلبي، 1386 هـ، ط1.
26. طبقات المفسرين: للداودي، تحقيق: علي محمد عمر،نشر:مكتبةوهبة،القاهرة،1392هـ،ط1.
27. طبقات المفسرين: للسيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، 1396 هـ، ط1.
28. طبقات النحاة واللغويين: لابن قاضي شهبة، تحقيق: د. محسن غياض، مطبعة النعمان.
29. علل الوقوف: للسجاوندي، تحقيق: د. محمد العيدي، نشر مكتبة الرشد، الرياض، 1427 هـ، ط2.
30. عين المعاني: للسجاوندي، تحقيق: د. حمد اليحيا، رسالة دكتوراه من جامعة الإمام، 1408 هـ، إشراف د. محمد صالح مصطفى.
31. غاية المريد في علم التجويد: لعطية قابل نصر، نشر: مكتبة الحرمين، الرياض، الطبعة الأولى: 1409 هـ.
32. غاية النهاية: لابن الجزري، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 1400 هـ، الطبعة الثانية.
33. الفهرست: لابن النديم، 385 تحقيق رضا تجدد دار المعرفة سنة النشر 1398 – 1978 بيروت .
34. القطع والائتناف: للنحاس، تحقيق: د. أحمد خطاب العمر،مطبعة العاني،بغداد،1398هـ.
35. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ.
36. الكشف عن وجوه القراءات: لمكي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1401 هـ.
37. كشف الظنون: لحاجي خليفة، طبع: دار الفكر، 1402 هـ.
38. لطائف الإشارات: للقسطلاني، تحقيق: عامر السيد عثمان، و د. عبد الصبور شاهين، نشر: لجنةإحياءالتراثالإسلامي،القاهرة،1392هـ.
39. معجم البلدان: لياقوت الحموي، طبع: دار صادر، بيروت، 1376 هـ.
40. معرفة القراء الكبار: للذهبي، تحقيق: بشار معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح عباس، نشر:مؤسسةالرسالة،بيروت،ط1،1404هـ.
41. المقصد لتلخيص ما في المرشِد في الوقف والابتداء: لزكريا الأنصاري، حاشية على منار الهدى، نشر: البابي الحلبي، 1393 هـ، ط2.
42. المكتفى في الوقف والابتداء: للداني، تحقيق: د. يوسف المرعشلي، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404 هـ.
43. منار الهدى: للأشموني، نشر: البابي الحلبي، 1393 هـ، ط2.
44. النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، تحقيق: د. محمد سالم محيسن.
45. هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري: لعبدالفتاح المرصفي، ط1، 1402 هـ.
46. الوافي بالوفيات: للصفدي، ط2، 1381 هـ، باعتناء: هلموث ريتر.
47. الوقف والابتداء: للغزال، تحقيق: د. عبدالكريم العثمان، رسالة دكتوراه من الجامعة الإسلامية، 1409 هـ، إشراف د. محمد سالم محيسن.